نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير

- سرنا فى اتجاه الشعب...
- اللواء الذى جعلناه قائد نفسه فقط.
- الضابط الذى حملناه مسئولية طبع المنشورات.
- لقصر وحيدر.
- " التيتل" الذى دفناه فى مكان أمين.
- مجاهد فى سينا.

www.anwarsadat.org

كنا قد انتهينا من إقرار التنظيم العام للتشكيل السرى داخل الجيش،واخترنا له أسم" الضباط الأحرار" وكنا قد انتهينا من تحديد أهداف هذه التشكيل السرى، عرف بصورة كاملة..ووضعنا قواعد العمل..

ومنذ تلك اللحظة، لم يهدأ لنا بال، ولا للحكومات، ولا للإنجليز ولا للقصر..

ففى أيام قليلة، كانت منشوراتنا قد أصبحت تصدر بانتظام.. وكانت هذه المنشورات تزعج السلطات الداخلية والخارجية إزعاجا شديدا.. لان صدورها بتلك الصورة المنظمة، كان يعطى فكرة لهذه السلطات بأن التشكيل الذى يصدرها، ليس من ذلك الذى اعتاد الجيش أن يفاجأ يظهوره بين فترة واخرى، ليصدر منشورا أو منشورين، ثم يختفى، أو يكتشف أمره.

وكان شغل السلطات الشاغل فى تلك الأيام هو أنم يضعوا أيديهم على أى حلقة من حلقات هذا التشكيل، أو يمسكوا بأى خيط يؤدى إلى اكتشاف أمره.. ولكننا كنا من جانبنا فى منتهى اليقظة.. فلم نمكن آيه سلطة من السلطات من العثور على شىء.. لم نترك ثغرة واحدة تستطيع هذه السلطات مجتمعة أو متفرقة أن تنفذ منها ألينا.

وكانت هذه اليقظة، إلى جانب التجارب الكثيرة التى مارسناها منذ الشباب الأول، من أيام منقباد، هى السبب الرئيسى فى نجاح خطتنا نجاحا كاملا.. كما أن ارتباط أهدافنا بعواطف الشعب واتجاهاته، كان من أكبر العوامل المساعدة التى مكنت لنا من هذا النجاح..

لقد نجحنا لاننا عرفنا كيف نسير.. ولأننا سرنا فى اتجاه الشعب.. ولأننا استفدنا من تجربتنا الطويلة السابقة..

جواسيس

وكنا فى بدء أيامنا كتشكيل سرى، عندما أتصل مصطفى كامل صدقى جمال وحاول التفاهم معه على أن تنضم مجموعته القديمة ــ أى مجموعة مصطفى صدقى ــ إلى تشكيلنا، توحيدا للجهود..

وكان معنى هذا أن تشكيلنا كله قد بات فى خطر.. فإن معلوماتنا عن مصطفى صدقى وجماعته كانت تدل دلالة كبيرة على أنهم يعملون حساب القسر.

وكان لابد أن يقتنع صدقى بأنه ليس هناك أى تشكيل يضمنا، أن جمال عبد الناصر لا يعمل شيئا على الإطلاق..

ولم يكن هذا صعبا على جمال.. فقد استطاع فى لحظات قليلة أن منع مصطفى صدقى بأنه قد أصبح بعيدا عن كل نشاط، أو كل اتصال نشاط.. وأنه أكثر من هذا صمم منذ عاد من فلسطين على أن... يأكل عيش...وبس!

واقتنع مصطفى صدقى بهذا الكلام.. ومضى..

وفى الحقيقة كان مصطفى منجما جيدا للمعلومات.. وكنا نستغله كيفما نشاء.. دون أن يشعر.. فقد كان مولعا بالتباهى والتفاخر يجب أن ينسب إلى نفسه أشياء كثيرة مما حدث، يحيطها بما يعلمه جيدا من ملابسات.. كنا نستفيد من ذكرها فائدة لا تقدر..

الخـــلايا...

وفى ذلك الوقت بدأت الخلايا تعمل...

كانت خلايا خماسية.. تبدأ كل خلية بأحد ضباط القيادة الذى لون من نفسه نواة لخليته.. ثم تتسلسل الخلايا على هذا الوجه، كل ضوء من أعضاء الخلية الأولى يكون هو نفسه نواة لخلية جديدة لا يعرف أعضاؤها أحدا غيره من أعضاء الخلية الأولى..

وللحقيقة نذكر أننا لم نتعد فى تسلسلنا هذه الطبقة الثانية من طبقات الخلايا.. وأن هذا كان فى حد ذاته سببا من أسباب نجاح التشكيل وضبط جميع أموره ضبطا كاملا..

وكانت واجبات أعضاء الخلايا هى:

1- ضم الموثوق بهم إلى التشكيل.

2- أثاره الموضوعات العامة فى وسط الضباط، لخلق مجموعة كبيرة من العاطفين على أى حركة يمكن أن يقوم بها التشكيل فى يوم من الأيام..

وبالطبع كان أعضاء الخلايا يدفعون اشتراكات شهرية، وكانت هذه الاشتراكات توضع فى صندوق توفير باسم البكباشى أحمد حمدى عبيد.. وكأنها مجرد نقود يدخرها من دخله الخاص..

وكنا نحاول الاستفادة منكل شيء.. من كل الظروف والعلاقات الشخصية والاحداث التى تقع: وأحيانا كانت تسنح لنا فرص طيبة، لا تخلو من طرافة، ولكننا كنا دائما نحسن استغلالها.. كما كانت الظروف نفسها تساعدنا كثيرا.. وعندما كانت الظروف تلعب دورها إلى جانبنا كنا نشعر براحة نفسية كبيرة وأمل ساطع يشع فى قلوبنا.. فقد كانت الدلالة الوحيدة لمساعدة الظروف لنا، هى أننا مرموقون من الله عز وجل...

www.anwarsadat.org

القصر وحيدر!

وكان أخوف ما نخافه جهتان:

القصر ومخابراته الخاصة..

وقيادة الجيش...

وكنا لذلك قد رتبنا أمورها جيدا، على تطويق الجهتين كلتيهما.. وبينما كان صلاح سالم يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر" باشا" لجلب المعلومات منه، واعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط الضباط الأحرار، كلما تعرض لخطر الانكشاف... كنت أنا أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر. وعن طريق الدكتور يوسف رشاد...

وبهذه الطريقة كنا نضمن دائما، أن نعرف أولا كل ما يمكن أن يكون قد وصل إلى علم إحدى هاتين الجهتين من معلومات ــ صادقة أو كاذبة عن نشاطها وأن نعرف أيضا أولا بأول كل ما يمكن أن تفكر فيه إحدى هاتين الجهتين من إجراءات خاصة بنا، وأن نضمن أيضا تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات...

وإلى جانب هذا، كانت الفرص الطريفة تسنح لنا وكانت الظروف تساعدنا فى كثير من الأوقات...

هو الذى يطبع!

حدث مثلا، أن قبض على الضابط حسن علام أثناء قيامة بكتابة منشور ضد الأوضاع التى كانت قائمة حينذاك..

ولا أحد يدرى أن كان هذا الضابط قد نزى فعلا طبع هذا المنشور وتوزيعه.. فلعله كان ينفس عن نفسه مجرد تنفيس بهذه الوسيلة..

ولكن الحادث وقع على كل حال.. فقد قبض عليه متلبسا بكتابة كلام شبيه بما كان الضباط الأحرار يكتبونه فى منشوراتهم.. ورفع المر إلى الفريق حيدر باشا.. وإذا به يتهلل

ويشرق ويشعر أنه قد وضع يده على التشكيل الخطير المزعج الذى يسمى نفسه بالضباط الأحرار..

وكانت فرصة لنا.. فآنا أتذكراننا لم ندع وسيلة فى تلك الأيام ألا استغثنا بها لاثبات هذه" التهمة"عليه.. وقد ثبتت فعلا، واتجهت أنظار القصر والقيادة وجهة أخرى تماما، فى كل أبحاثهم الخاصة بالكشف عن حقيقة الضباط الأحرار..

ولعلنا أن تكون قد تألمنا كثيرا لهذا الحادث، ولموقفنا منه.. ولكن مصلحة الوطن التى كنا نعمل بصدق من أجلها كانت تقتضى منا أن ننتهز هذه الفرصة، وألا ندعها تفلت من أيدينا أبدا...

المعركة.. لم تنته

ولم تكن هذه هى الفرصة الوحيدة الطريفة، أو الفرصة الوحيدة التى عرفنا كيف نستغلها استغلالا كاملا مفيدا..

فقد حدثت أحداث أخرى أثناء معركة القتال، كانت كفيلة بإضعافنا و الكشف عن سرنا الكبير..

وقد كانت معركة القنال من وجهة نظرنا، معركة مجيدة تبدى فيها شعور الشعب واستعداده الكبير للتضحية بكل شىء..

وصحيح أنى لست أنوى أن اذكر شيئا من التفاصيل الخاصة بدور الضباط الأحرار فى هذه المعركة، فأن معركة القنال لم تتم فصولا.. ودور الضباط فيها أن كان قد بدأ فى حدود الظروف التى سنحت لهم خلالها.. فهو دور قادم لا شك فيه، ولا نهاية له الا يخرج آخر جندى من شىء ارض القنال...

لن ننشر اليوم إذن شيئا من هذه التفاصيل ولكن هناك مع ذلك ما يمكن نشره.. هناك قصتان.ز لعل إحداهما قد كسبت شهرة معينة إذ جاء ذكرها فى محكمة الثورة أثناء محاكمة فؤاد سراج الدين، عندما" المتهم" قصة اللغم البحرى..

أما القصة لثانية..أو هى الأولى باعتبار تاريخ الحوادث فكانت قصة على هامش الأحداث، ولكنها كانت ذات خطر كبير، لولا أننا أحسنا استغلالها..

مجاهد فى سينا!

س ونبدأ بهذه القصة.. وقد وقعت الأيام الأولى للمعركة.. وكنا إذ ذاك فى سينا.. كنت هناك أنا وعبد الحكيم وصلاح.. وكنا نشعر بالضيق الشديد الذى يملأ نفوسنا جميع الضباط فى سينا، فقد كان الجميع هنا يشعرون بأن عليهم واجبا يجب أن يؤدوه فى هذه المعركة وأنه لا حق لأحد فى منعهم عن القيام به..

ونكاثر الضيق، وغلت الصدور، وأصبحت القوات هناك فى شبه هياج مستمر، ينذر بالخطر..

ووصلت التقارير إلى قيادة الجيش عن هذه الحالة المسيطرة على القوات فى سيناء فأرسلت القيادة ضابطا كبيرا هو اللواء توفيق مجاهد، وكلفته بتهدئة الحالة هناك...

وجاء اللواء يهدئنا!

جاء، فجعل يخطب فينا ويناقشنا، ويحاول أشعارنا بأن دور الجيش لم يأت بعد، لا لآن الجيش يجب أن يستعد.. ولكن لان عدونا الحقيقى فى نظر اللواء مجاهد، ومن أرسلوه ــ هو اليهود.. وأن علينا أن نفرغ من أولا ثم بعد ذلك نفكر فى الإنجليز..

وأطال اللواء مجاهد كثيرا فى هذا المعنى، حتى ضاقت الصدور.. وإذا بصلاح سالم يصرخ فى وجهه قائلا:

أن عدونا الأساسى هو الإنجليز، هو هذا الاستعمار القائم فى بلادنا.. وأننا يجب علينا أن نطهر أرض الوطن من هذا الاستعمار أولا، وقبل كل شىء..

صورة

ويبدو أن صرخة صلاح قد لاقت تأييدا من الضباط.. وإذا باللواء مجاهد بيدى ضيقة الشديد بهذه الصحية، ثم لا يفتأ أن يبدى رأيه علنا فى صلاح.. وكان هذا الرأى هو أن صلاح سالم.. رجل خطر.

وأحسسنا بالخطر يحدق بنا.. فقد أيقنا أن اللواء مجاهد لابد أن يكتب تقريرا عند عودته إلى القاهرة، يتهم فيه صلاح سالم بالخطورة.. ومن يدرى كيف يمكن أن يؤدى هذا إلى الإيقاع بالتشكيل كله...

وقررنا أن نلغم الأرض للواء مجاهد قبل أن يعود إلى القاهرة، ويقدم تقريره المنتظر..

وفى نفس الليلة اجتمعنا، عبد الحكيم عامر وصلاح وأنا.. فى منزلى الصغير فى رفح.. ثم رأينا أن نكتب خطابا إلى الفريق حيدر باشا، نضمنه شكايتنا من أن اللواء مجاهد قد أثار الضباط أثاره شديدة فى زيارته لهم، وأنه استفزهم يمكن أن يؤدى إلى ما يجب اتقاؤه من شرور..خصوصا وأن لهذا اللواء تاريخا أثناء حرب فلسطين.. وأن هذا التاريخ معروف لسائر الضباط..

وكتبنا الخطاب فعلا، وأرسلناه إلى حيدر..

وفى اليوم التالى هبط اللواء مجاهد إلى القاهرة.. ولكنه لم يكد يحط قدميه فيما حتى كان حيدر" باشا" قد استدعاه إليه وبدأ التحقيق معه فيما ألصقناه به من اتهامات!

وانتهى التحقيق بقرار نقله إلى المنطقة الجنوبية..

وكان اللواء مجاهد إذ ذاك نائبا لرئيس هيئة أركان حرب الجيش المصرى، كان يتمتع بهذا المنصب الخطير، وهذه الإدارة الضخمة.. وأذا هو ينتقل إلى المنطقة الجنوبية.. حيث لا جنود ولا ضباط.. أى حيث يصبح قائد نفسه.. فقط.. لا غير!!

التيتل أو اللغم

والقصة الثانية من قصص معركة القنال، هى قصة اللغم البحرى التى أشار إليها سراج الدين أثناء محاكمته، ووعدت الجمهورية إذ ذاك بنشرها كاملة..

وقد وقعت هذه القصة فى 25 ديسمبر 1951 أى قبل حريق القاهرة بشهر كامل على التحديد..

وأذكر هذا التاريخ جيدا.. لانه كان يوم ميلادى.. أو عيد ميلادى كما يسمى الناس تاريخ مولدهم..

وكنت ثلاثتنا فى رفح... عبد الحكيم، وصلاح، وأنا.. وكان معنا هناك سبعة وعشرون ضابطا..

والضباط فى مثل هذه الوحدات النائية، ينتهزون فرصة المرح انتهازا.. وكان" عيد ميلادى" إحدى هذه الفرص.. ولذلك قرر الضباط أن يحتفلوا بهذه" المناسبة" على حسابى، فى سينما المدينة..

وذهبنا إلى السينما.. وبقى حكيم وصلاح فى الميس وحدهما...

لماذا..؟

لا أدرى لعل ذلك لاننا لم نرد أن يخلو الميس من ضباط..

ولعل الأمر أكبر من هذا كثيرا.. فقد كان لابد فعلا من أن يوجد ضباط فى الميس، وأن يكون هؤلاء الضباط هم عبد الحكيم وصلاح بالذات فقد عودنا الله طيلة أيام استعداداتنا لهذه الثورة، أن يكون معنا فى كل شىء..

ودق جرس التيلفون فى الميس، فقام إليه عبد الحكيم.. وكان المتكلم هو جمال عبد الناصر.. من القاهرة..

وقال جمال لعبد الحكيم جملة واحدة.." التيتل جاى النهاردة فى الطيارة.. أستعد لاستلامه.."

وقطع جمال الخط.. وانتهت المكالمة..

وكانت كلمة " التيتل" من كلمات قاموسنا" الحركى".. وكان معناها" اللغم".

وكنا قد اتفقنا من قبل على أعداد لغم بحرى كبير لنضعه فى القنال قبل مرور باخرة إنجليزية كبيرة.. فننسقها بذلك..

وكان هدفنا من هذه" العملية" هو تعطيل القنال، وتقديم الدليل الكافى للعالم، على أن الإنجليز لا يستطيعون حماية القنال، ما دام المصريون لا يمكنونهم من ذلك.

وجلس عبد الحكيم وصلاح ينتظران" التيتل".. وكانا بالطبع يعلمان شيئا عن حقيقة حجمه..

وبعد قليل.. أتصل ضابط من العريش بعبد الحكيم.. وقال له بلغتنا" الحركية" استلمت" التيتل" ولكنى لا أعرف كيف أوصله إلى القنطرة، لان إمكانياتى أقل من ذلك كثيرا..

وأجابه عبد الحكيم بقوله:

- **أرسله إلى فى رفح.. وسأتصرف أنا فى الأمر...**

وعاد عبد الحكيم وصلاح ينتظران" التيتل" مرة أخرى.. وقد علما أنه سيصل إليهما ساعيا على أرض لا هابطا من السماء.!

وبعد قليل، وصل " التيتل"

وصل، فى حراسة ضابط كيماوى، كان هو الذى قام بعداده، وكان أيضا هو المكلف بتركيبه فى القنال...

وكانت الساعة إذ ذاك، الثامنة مساء..

وكان هذا" التيتل" عبارة عن أربعة صناديق كبيرة الحجم ثقيلة الوزن جداً..

وتعاون عبد الحكيم وصلاح والضابط الكيماوى على إنزال الصناديق.. وكان جليا أنها لا يمكن أن تدخل من الأبواب، ولا أن تخفى فى إحدى الغرف..

وكان الحل الوحيد، هو أن توضع هذه الصناديق إلى جوار الباب.. ثم أن يسرع عبد الحكيم وصلاح إلى السينما ليخرجانى منها، حتى أجلب لهم بعض جنود سلاح الإشارة، ليساعدوا فى عملية نقل هذا" التيتل".. غير المنتظر..

وخرجت من السينما، وتوجهت فورا إلى سلاح الإشارة فأحضرت بعض جنودى المدربين بينما ذهبا هما إلى سلاح خدمة الجيش فأحضرا ضابطين من الأحرار، وعربة لورى كبيرة..

وكانت الوقت الذى أمامنا يحسب بالثوانى لا بالدقائق.. فقد أوشكت السينما أن تنتهى.. وبانتهائها سيحضر الضباط إلى الميس..وينكشف أمر" التيتل" الذى كنا نحرص أشد الحرص على إخفائه..

وفى هذه الثوانى التى كانت قد بقيت لنا، استطعنا أن نضع التيتل فى اللورى، وأن نجهز اللورى بالبنزين الذى يكفيه لقطع 350 كيلو مترا..إلى القنطرة.. وأن نعد بعض قطع الساندوتش، للضباط الكيماوى ومرافقيه..

وسار اللورى على بركة الله..

واتصلنا نحن بزملائنا من الضباط الأحرار فى العريش لكى يدعوه يمر.. ثم بزملائنا فى القنطرة، لكى يتسلموه..

ولم نكد نفرغ من كل هذا، حتى كانت مظاهرة قوامها سبعة وعشرون ضابطا تقترب فى مرح من الميس..

كانت السينما قد انتهت.. وكان الضباط عائدين..

ولعل قصة" التيتل" هى إحدى القصص التى لم تنته من قصص معركة القنال...

فالذى نستطيع اليوم أن نضيفه إلى ما ذكرت هو أن القنطرة قد استلمت" التيتل" وأن الضابط الكيماوى قد ركبه فعلا.. ثم قامت فى وجهنا عقبات لم تسمح لنا بتنفيذ خطتنا.. فقررنا دفنه... دفنه فى مكان أمين.. حتى يحين الحين..